القراءة الأعظمية

الجزء الثاني



تصنيف

محمد حسن الأعظمي الأزهري

الناشر

السيد عبد القادر وأولاده

چاركمان حيدرآباد دكن

من تصانيف لجنة التأليف والترجمة
وفقاً لمنهاج كلية اللغة العربية

القراءة الأعظمية

الجزء الثاني

تصنيف

محمد حسن الأعظمي من علماء الأزهر بمصر
وعميد كلية اللغة العربية وسكرتير كلية الجناح بلاهور

الناشر
السيد عبد القادر وأولاده
چادر گهاٹ حيدر آباد دكن

الطبعة الأولى

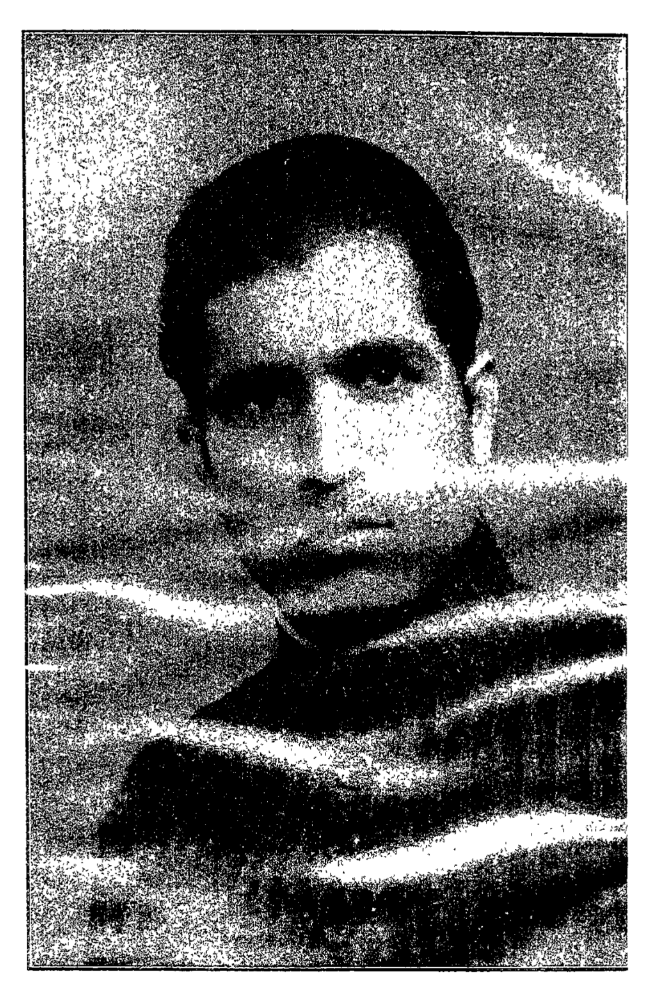
٥٠٠ نسخة

أغسطس ١٩٤٣م - ١٣٦٢هـ

طبع

فى مطبعة الأعظم البرقية بحيدرآباد الدكن

الهند



محمد حسن اعظمی



تعارف

حامداً ومصلیاً ومسلماً

مولانا محمد حسن الاعظمی کسی تعارف کے محتاج نہیں ہیں صاحب موصوف کی مساعی علمیہ کی شہرت تمام ہندوستان میں اور ہندوستان سے زیادہ مصر اور بلاد اسلامیہ میں ہے۔ آپ وہ صاحبِ عزم ہندوستانی ہیں جنہوں نے جامعہ ازہر مصر سے تکمیل کی ڈگری حاصل فرمائی۔ اور پھر پختہ ارادہ کر لیا کہ اپنی تمام عمر خدمت علم و ادب عربی کے لئے وقف فرما دیں گے۔ آپ اس وقت جامعہ مصریہ میں پروفیسر ہیں اور جماعت الاخوۃ الاسلامیہ قاہرہ کے جنرل سکرٹری بھی آپ کی مشہور ادبی کتاب شرح دیوان امیر تمیم کو حکومتِ مصر نے ہزار سالہ جوبلی کے لئے شائع کیا ہے اور آپ کی عربی تقریر کا ریکارڈ لندن کے ریڈیو سے سنایا گیا۔

دوران جنگ میں آپ کو کچھ عرصہ کے لئے ہندوستان آنا پڑا اور سوء اتفاق سے خیال سے زیادہ یہاں قیام کرنا پڑا۔ لیکن صاحب موصوف نے یہ وقت بیکار نہ گزارا اس وقت جناح ایجوکیشنل بورڈ لاہور کے سکرٹری ہیں اور سلسلۂ تالیف وتصنیف بھی برابر جاری ہے۔ اس نظریہ کو اپنا مقصد حیات بنا لیا ہے کہ عربی زبان کو عملی طور سے تمام مسلمانانِ عالم کی مشترک زبان بنا دیا جائے۔ ہر مسلمان اپنے ملکی اور مقامی زبان کے ساتھ عربی سے بھی واقفیت رکھے۔ یہ ایک ایسا مبارک خیال ہے جس سے کسی فرد مسلم کو بھی اختلاف نہ ہوگا، مگر افسوس ہے کہ یہاں عملی لحاظ سے اس وقت تک اس کی تکمیل کے لئے کچھ بھی نہیں کیا گیا ہے

اور تو اور ہندوستانی مدارس عربیہ نے بھی اس خصوص میں بہت ہی مجرمانہ غفلت برتی ہے۔ عام طور سے عربی کی اعلیٰ جماعتوں میں ذریعہ تعلیم مقامی زبان ہوتی ہے۔ جس کا نتیجہ یہ ہے کہ اکثر مدارس کے فاضل حضرات عربی بولنے یا عربی لکھنے کی معمولی صلاحیت بھی نہیں رکھتے۔ استاد اعظمی اس کمی کو پورا کرنے کے لئے پوری توجہ فرما رہے ہیں۔ اور متعدد رسائل ایسے تالیف کئے ہیں جس کی عبارت سہل

اور مطالب مفید ہیں۔ اگر یہ رسائل ہندوستانی مدارس میں شامل نصاب کرلئے جائیں اور ذریعہ تعلیم بھی عربی ہو تو یہ نقصان بہت جلد رفع ہو جائے گا۔ زیر نظر کتاب "القرآءۃ الاعظمیۃ" اسی سلسلہ کی ایک کڑی ہے۔ میں نے جستہ جستہ اس کتاب کو دیکھا بظاہر یہ کتاب تین حصوں پر مشتمل ہے۔ قدیم ہندوستان کی حکایات، جدید ہندوستان کے واقعات اور کچھ سیاسی و معاشرتی مضامین ہیں طرز ادا جدید ادب عربی کے مطابق ہے۔ اسلوب بیان بہت پسندیدہ، مطلب مفید، مجھے امید ہے کہ یہ کتاب ہندوستان میں بہت مقبول ہوگی اور مقبول ہونا چاہیئے۔ اس لئے کہ یہ اپنے طرز کی پہلی کتاب ہے۔

احقر

محمد عبد القدیر القادری بدایونی

امیر جامعہ نظامیہ و مفتی دولت آصفیہ

حیدر آباد دکن ہند

للشيخ الصاوي شعلان من علماء الأزهر

إخلاص قلبي قبل ألفاظ الفم ... للأعظمي وأين منا الأعظمي

كانت بشائر عهده تبدو لنا ... من كل يوم في الزمان بموسم

مثل الربيع نضارة وبشاشة ... والزهر في عرف وحين تبسم

عاشرته زمنا فكان وداده ... شمس الصراحة في الزمان المظلم

يأبى مجاملة ولا يرضى سوى ... فعل الجميل على الصراط الأقوم

أما شمائله فبيض صحائف ... تجلو بياض الصبح للمتوسم

أما مواهبه فإن كنوزها ... للعلم والآداب أوفى مغنم

تلقاه في الصفحات أصدق كاتب ... وتراه في التعليم خير معلم

يهدي اللآلئ منشئا ومترجما ... أعظم به من منشئ ومترجم

أحيا تميما بعد ما عاث البلى ... بتراثه فمضى كأن لم يعلم

فأساد منطقه ورد بيانه ... دررا كأن مثيلها لم ينظم

وكأن إسرافيل خلف عنده ... قبسا يعيد نشور تلك الأعظم

يا من عرفت وداده ووفاءه ... وعرفت فيه صفاء قلب المسلم

أهدي إليك تحية أرجو بها ... لك رفعة الدنيا ويمن المقدم

وتحية الجندي يحمل عطرها ... للهندي شدو البلبل المترنم

وأنعم بأيام السعادة كلها ... في رفعة موصولة وتقدم

الكتاب الثانى

فى المنتخب من فتى الهند

الموضوع	صفحة

(١)

فى فجر الحياة

أتحدث الى القراء عن شخصية نائية عنهم، نشأت فى غير بلادهم وتحدثت بغير لغتهم العربية، وان كانت تشترك معهم فى كثير من مبادىء العليا و الآمال الوطنية و الدينية ، وقد كانت هذه الشخصيّة تهمّنى لأننى أعرف الناس بها وأشدهم امتزاجا و اتصالا بما انطوت عليه ظروفها العجيبة ،



أردت أن أقدم الى شباب مصر وغيرهم من الناطقين بالضاد صورة طريفة عن الهند فى هذا الفتى صاحب تلك الشخصية التى نوّهتُ بها، وأنا أبدأ معه منذ أول لمحة من لمعات فجر حياته وأتمشى مع نور ذلك الصباح الى أن تجلت شمس الحقيقة فى نهار الوجود.

المدرسة الأولى للانسان ليست تلك التى تشيدها الحكومات وتتعهّدها، وانما هى المنزل. فأول مايرى الانسان الدنيا تبدأ تلك المدرسة، والمعلم الأول فيها هو الأم. فمن بسماتها المشرقة ووجهها الضاحك وقبلاتها اللينة وأحضانها

الهنيئة يرتضع لبان التربية ومن حركاتها
وسكناتها يتلقى المعارف الأولى. وما غمغمته
الهادئة الا تعبير بلغة الطفولة عن لغتها
الفصيحة، فهو يراها ويرى صديقاتها و
قريباتها، ويرى اخوته وأخواته وأقرباءه،
ويسمع من أولئك جميعا دروسه الابتدائية،
ثم يزوّده الوالد بما لديه من حنان، فيه
خشونة الرجولة وقوتها.

وهكذا يربو وينمو في ظلّ الأسرة و
في محيط البيئة بين ألعابه المباحة و
حرّيته الطليقة و مسلكه الذى لايعرف
المسئولية ولا يرتبط بالتقاليد. ولكننا لا
نبالغ في تلك الحرية، فهو اذا لم يقيّد

نفسه مأخوذ بقيود من عادة الأسرة والظروف
المحيطة به، اذ هو يبدأ نشأته مقلدا في
الحركات و الكلمات والأصوات والأغاني
و الأعمال الخاصة، ولا سيما قبل سن السادسة
فهو مرآة البيت وصورته الخالية من كل
تملق أو رياء أو مجاملة، وهو لا يعرف هذه
الأشياء التي تحتاج الى التعقل و التعليل
القائم على منطق العادات والأوساط. ولكي
نعرف حياة أسرة تحجب المظاهر حقيقتها،
يجب أن نلتمسها في طفل ناشيء بين
أحضانها. وهاهنا حقائق لا بد من الإلماع
اليها لأنها هي البرهان على صحة ما أسلفناه
وهي أن أطفالا يتعلمون جميعا في معهد

واحد ثم نلمس بعد ذلك التباين والاختلاف الواضحين كل الوضوح فى مسالكهم وأمزجتهم وآرائهم واتجاهاتهم ، ومامرجع ذلك الا اختلاف العادات التى درجوا عليها وانطبعت فى مرآتهم بفعل الأسرة التى تتنوع أمزجتها وغاياتها.

فلو أن شجرة اعوّجت فى نشأتها الأولى لتبقى معوجة أبد الآبدين ولوصارت مثل الجبل طولا وعلوا وضخامة، وهكذا ستخرب أنت عمارة عظيمة لو أخطأت فى وضع لبن واحد فيها أوّل الأمر.

وقد نرى على سبيل المثل طفلين أحدهما يبدى تألمه ويرفع صوته بالبكاء والضجيج

اذا رأى جانبا من ثوبه غير نظيف ، بينما الآخر يقضى يومه كله على الأتربة والأوحال دون أن يتبرّم أو يئنّ. أحدهما يُعنى بنظافة وجهه ويديه وحسن هندامه ، وبينما الآخر يبدو على العكس من ذلك ، ولا يغسل يديه مرة قبل تناول الطعام ولا بعده . فهذا هو أثر الأسرة يختلف فى الطفلين ، من هذا نتبيّن أن السنين المبكرة هى أخطر عهد فى حياة الطفل ، ولهذا توجّه الأمم الراقية عنايتها الى هذا العهد الخطير . فهذا هو القالب الذى تتشكّل فيه الإنسانية الأولى على النحو الذى يوجّه اليه ،

قلّما تمكن محاولة التأثير أو التغيير فى

طباع إنسان طبعته الأوامر الأولى بطابعها الخاص وكوّنته على غرارها المحدود.

وقد نقل أن طفلا انكليزيا عهد به الى مربّية فرنسية تعهدته السنة الأولى بعد ولادته ثم فارقته. ونمى الطّفل فى أمته ووطنه الأنجليزى، إلا أنه ما زال طوال حياته متأثرا فى لغته القومية باللهجة والنطق الفرنسى الذى تلقّنه من مربيّته أوّل ما ماسمع الأصوات فى الدنيا.

ويحكى أن رجلا دخل منزلًا يُعرف أهله بالشحّ والحرص فرأى طفلًا صغيرا فى يده ليمونة صغيرة فطلب إليه أن يعطيه ايّاها فأجابه الطفل "أن يدك لا تسعها"

وكذلك كان الشأن فى الفيلسوف الروسى الشهير "تولستوى"، فقد سمع فى حداثته أحد الملحدين يزعم أن لا آله للكون، و بقى شيطان تلك الكلمة يتوغل فى مشاعره الفتية حتى ترعرع وشبّ على مبدئها المسموم و بقى طول عمره يتشكّك فى وجود الاله وان قام على وجوده ألف برهان،

و الطفل كما أسلفنا من الملكات، مستعد الى حد كبير لقبول المؤثرات من حسن وقبيح، وهو يتبع أهله ويقتدى بهم فى الضلالة و الهدى، وفى الكفر والايمان، ونوع التدين أللهم الا بعض الأطفال الذين لا يستسلمون لهذه القدوة، بل يواجهون

التجارب والحوادث ويناقشونها ، فمن أى النوعين كان صديقنا الهندى ؟

ولكن قبل أن نتحدث عن فتى الهند يجدربنا أن نلاحظ على سبيل ما يسمونه الاستطراد ، أن من الجناية على الأطفال قتل ملكة حب الاستطلاع فيهم ، فللطفل فضول عجيب وأسئلة يلحق بعضها بعضًا ، وطالما رأينا الآباء والأُمهات يضيقون ذرعا بأسئلة الأطفال الذين يؤمنون بالمربّين ، ويعتقدون أن أحدهم يستطيع أن يحيط بالكائنات كلها .

فكلما كثرت أسئلة الطفل عمد وليه الى زجره وإطفاء نورخياله ، فلو تسامحنا

مع هؤلاء الصغار وأحسنّا استغلال هـذا الفضول، لقوّينا من معلوماتهم و أفسحنا فى رقعة خيالهم وخلقنا فيهم الطموح الى المعرفة وحبّ الدراسة والتجربة، لأن الروح الغضة الفتية مشتاقة الى أن تعرف ما يحوط بها من الكائنات المجهولة لديها،

كما أننا نلاحظ هذا الاستبداد الغريب فى توجيه الطفل، فان الآباء يحكمون على عقول أبنائهم حكما قاسيا ديكتاتوريا جبارا، فاذا أراد الأب أن يكون ابنه مهندسا فقد وجب عليه أن يذهب الى كلية الهندسة على رغم أنف موهبته، و اذا أراد أن يكون طبيبا فلا بد من الزجر به بين المعامل و

الصيدليات ولو أن الطبيعة صاغته ليكون أديبا أو محاميا. وفى مقدورنا أن نعتبر هذا أحد الأسباب فى رسوب الكثيرين من الأذكياء فى الامتحانات، فهم يتعلمون على رغم مشاربهم وعلى النقيض من آمالهم ومذاهبهم.

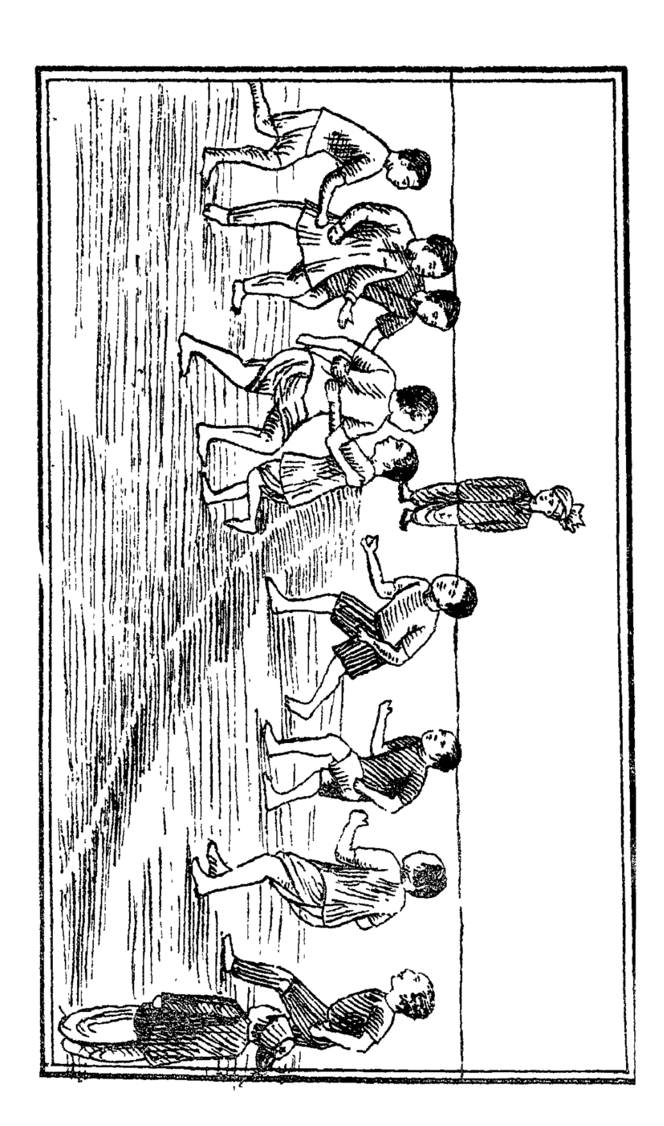
وكثيرا ما رأينا شاعرا من خيار الشعراء يلبس ملابس الجندية، فهذا رجل أرادته البيئة والظروف على أن يكون جنديا يحمل السلاح، بينما هو مخلوق ليحمل القلم، ولكن موهبته الجبارة تجاوزت به منطقة البيئة فأصبح شاعرا وخلع ملابس الجندية الى حيث يحتل مكانه الأصلى بين الشعراء،

وعلى سبيل المثال يعرف المصريون حافظ ابراهيم الشاعر بينما يجهلون حافظ ابراهيم الجندى»

ولقد أحسن قدماء اليونان كل الأحسان إذ أعدُّوا متحفاً أو دعوه كل ما فى الحياة العامة من أدوات الزراعة والصناعة و الحياكة وسائر المهن والفنون حتى يستطيعوا على ضوئها أن يمتحنوا مواهب الأطفال فيوجّهوهم التوجيه الحسن إلى ما يلائم طباعهم ويحقق لمستقبلهم السعادة و الخير لأنفسهم ولأمتهم، فقد كانوا يذهبون بأطفالهم الى تلك المعارض و المتاحف ويتركون لهم الفرص الكافية

للتحقق من المهنة التى استقرت عندها ميولهم وتوجهت إليها أنظارهم، ثم يسيرون به بعد ذلك متجهين صوب الطريق الأمثل بعد أن يتلقوا من موهبتهم القرار الأخير.

إن المسلمين واليهود والنصارى وأبناء الديانات المختلفة فى العالم ليسوا إلّا وُرّاثا فى الغالب لتركات الأجيال الماضية. ونحن على ضوء ما سبق سنتعرف إلى صاحبنا ونتتبّع خطواته فى أدوار تربيته المنزلية والعملية.

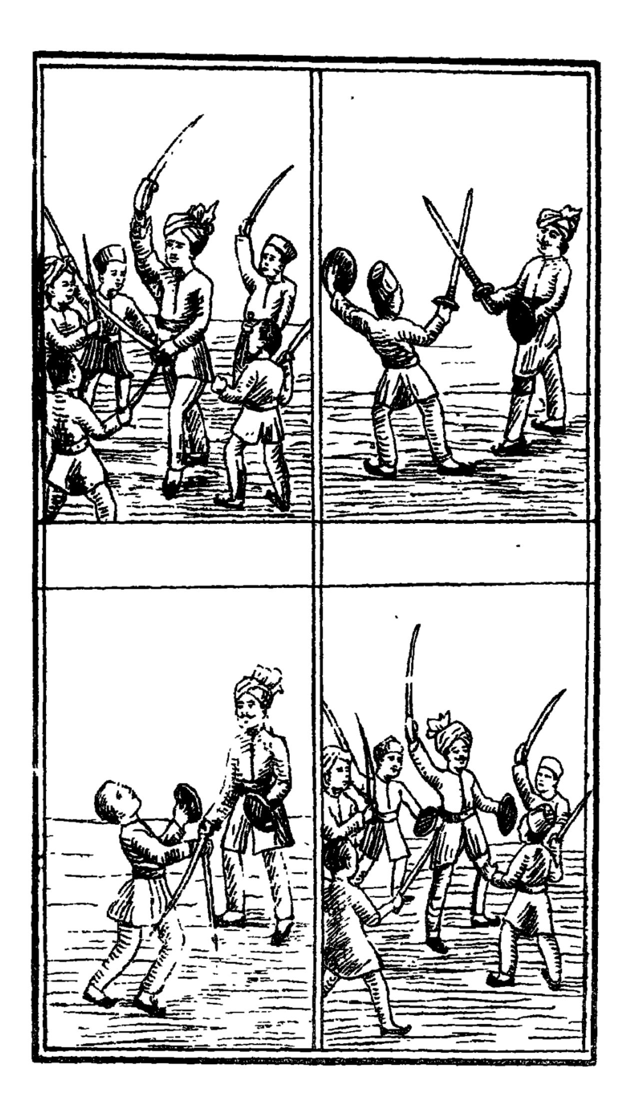


(٢)

"لعبة الكبدّى"

هى من التمارين الرياضية التى تتناول تقوية الروح والجسد معًا لما فيها من الحركات العضيلة والتنفّسيّة وغير ذٰلك، وهى ميدان تنافس عظيم للصغار و الكبار و الفقراء و الأغنياء، ولها ميادين شهيرة و مواسم خطيرة الشأن. وهم يبدأون فى التمرن عليها منذ حداثتهم. وهى لعبة محبوبة لأنها سهلة المأخذ على كل من أراد أن يزاولها

وقد يلعبها إثنان كما يمكن أن يلعبها مئات، مشتركين في الصحراء أو الحقل أو الشاطئ، ولا تحتاج إلى كرة أو أدوات أخرى . وأجمل أوقاتها الليالى القمرية، ولا نحب أن نطيل الحديث عن وصفها الآن.



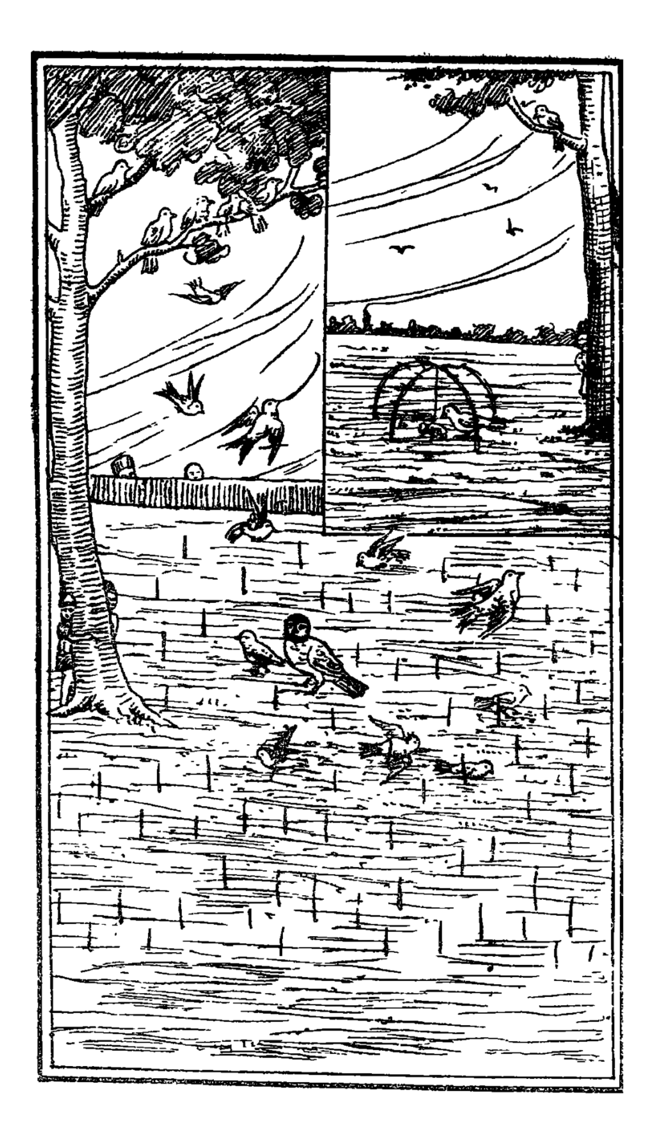
(٣)

"لُعبة السّيف"

فهى أكبر من إسمها وأخطر من عنوانها فقد كانت أول الأمر من الأسرار التى يختص بها رجال الدين الاسلامى فى الهند، وهى تمرين خطير على الحرب، فان الماهر المتقن لفنّها يستطيع وهو أعزل أن يقتل عشرين من المسلّحين آمنا فى وسط النار، وهذا من الأسباب الهامة التى جعلت المسلمين على أقليتهم كانوا يرهبون أعداءهم الأكثرين

من الهندوكيين ، وقد شاعت هذه اللعبة بعد ذلك . وهى تحتاج الى ممارسة طويلة، ولها مؤلفات خاصة . وكان لها قبل خمسين سنة شأن عظيم فى الاستدلال على كفاءة الشاب .

وكانت أجل قيمة من المهر الذى يقدّم للعروس . وشاع أمرها بعد ذلك ونقلها الهندوكيون وتداولوها حتى كادوا يتخصصون فيها .



(٧)

صيد الطيور

فقد كان الأطفال يبكرون قبل البكور
و يحملون معهم أزوادهم من الطعام والفاكهة
إلى الصحارى و الغابات ثم يحتلبون سائلا
أبيض من جذوع أشجار مقدسة عند
الهندوس تسمى "پيپل" ولهذا السائل
خاصية غريبة وهى أنه يتجمّد ويكون موادّ
لزجة أشبه بالغراء والصمغ، ثم يجمعون
هذا السائل ويمزجون بالزيت و يطبخونه

لتخفيف لزوجته ، ثم يصنعون من الغابة الأفرنجية (القصب الفارسى) أقواسا رقيقة تربطها خيوط حريرية رقيقة حتى تتكون شبكات على نظام مخصوص وتدهّن بذلك السائل.

ثم تقتنص من شواطئ الماء حشرات خاصة تقتات بها الطيور المراد صيدها وتربط داخل الشبكة ، ثم توضع تحت شجرة تحلّق الطيور على أغصانها ، فعند ما ترى الحشراتِ تنقض عليها لافتراسها فتلتصق بالشبكة بواسطة ذلك السائل ، وقد تطير بالشبكة أو منفردا ، الا أنها تتعرض للسقوط مع طيور أخرى تلمس

تلمس جناحها الملوّث بالسائل ، ثم يلقى
الزيت بعد ذلك على موضع السائل فيزول
بتاتا، وتحبس الطيور سليمة فى أقفاسها
غير متأثرة بالجراح التى تصيب الطيور
عادة من رصاص الصيّادين .

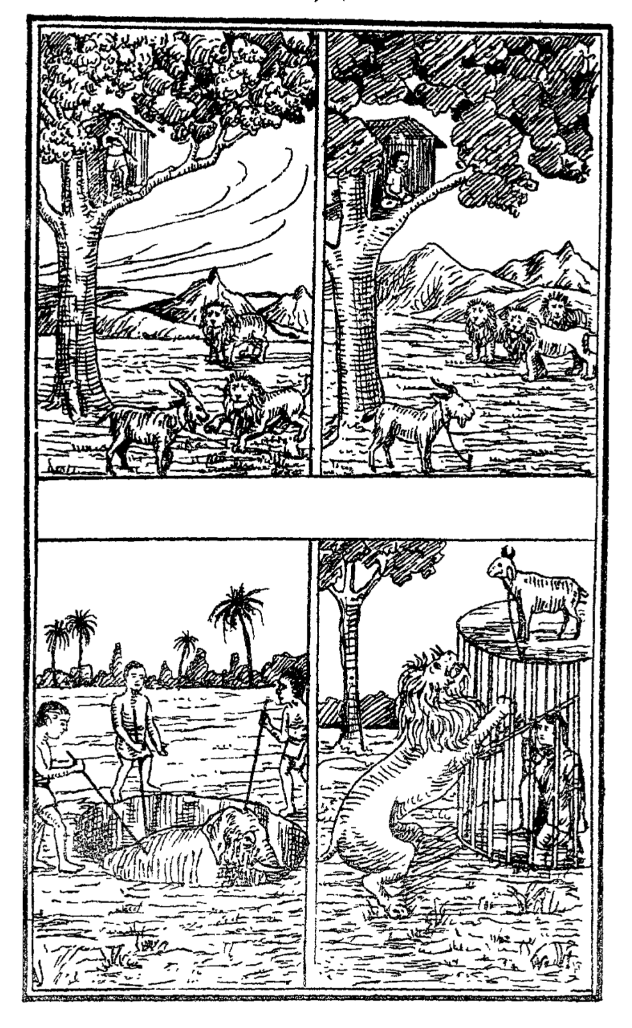
وإذا أريد اقتناص عدد كبير من الطيور
فلذلك طرق عديدة. منها الجمع بين العدوّين
لاصطياد أعداء جدد . وذلك بأن يجمع
مثلًا بين طائر شبيه بالبوم يقال له
بالهندية "كچكچوا" وآخر من الطير الذى
يراد صيده. وهما طبعًا عدوّان. فتقع بينهما
مهارشة وتسمع الطيور من جنسه الصياح
فتجتمع لانقاذه، وعند ذلك يتسنّى للصيّادين

أن يقتنصوا ما شاء وامن جنس الطير المربوط بكل سهولة. وفى مدة قليلة يمكن صيد المئات من طيور، بعضها للغذاء و بعضها للتمتع بمنظر ريشها ذى الألوان الزاهية، أو بسماع تغريدها الجميل، ولهذا الصيد موسم معروف يحدد بيوم الأربعاء الأخير من الشهر الذى شفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم من بعض أمراضه . ولا يمكن تقدير السرور العميق والابتهاج العام الذى يلقى على وجوه الأطفال نورا من الفرح عند مايعودون بالغنائم فى تلك المواسم ويقتسمونها فيما بينهم. وكثيرا ما تقع منافسات تتبارى فيها الأذواق و

تتنبه ملكات الاختيار فى هؤلاء الصغار، وهم بهذا الصيد يتعلمون الاعتماد على النفس وتحمل الغربة وابتكار الحيلة عند الحاجة مع قوة العزيمة والتغلب على ما يصادفهم من الوحوش الضارية الكامنة فى الغابات أو نفس الهندوكيين الذين يقفون فى طريقهم إذا أرادوا اعتصار السائل من الشجرة المقدسة عندهم وهم يتّبعونهم حتى عند صيد الطيور، لأن قتل كل ذى روح محرّم تحريما أبديا فى شرائعهم،

وللأطفال مكر برىء وحيل طريفة فى العبث بالبراهمة، اذ يحلون عددا من الطيور وقد تكون من النوع الذى لا يؤكل،

ثم يذهبون بها إلى أحدهم وبأيديهم المدى متظاهرين بأنهم سيهمون بذبحها. فما يكاد البرهمي يراهم على هذه الحال حتى يتولى عليه الذعر والخوف من ذبح الحيوان وتتملكه الشفقة فيبكى ويرجو الأطفال أن يكفوا عن قتل الطير، فيظهرون الاباء حتى يدفع إليهم مقدارا من المال يفتدى به ذلك الطير فيطلقونه ويعودون بمال البرهمي فرحين بنجاح الحيلة ونيل الغنيمة،



(٥)

صيد الأسود والأفيال

تحدثنا عن صيد أنواع الطيور على أن القنص لا يقف عند هذا النوع من العمل الرياضى المنتج . فهنالك اقتناص الوحوش فى مختلف جبال الهند، وبين لفائف الغابات وأشجار الجوز التى تعشش فوقها من الطيور زمر من أنواع القردة والحيوانات البرية المتسلقة ، وبين تلك الأدغال والأحراش ترتع ألوف من تلك السباع المفترسة على

تبائن أصنافها من أسود ونمورة وفهود وثعالب وبنات أوى. الا أن الهنود يعنون بصيد الأسود عناية بارعة ولهم فيها طرق وحيل يعجز التفكير عن حصرها و الالمام بجميعها. والصيّاد الماهر هوالذى يصطاد الأسد يقظان، واذا كان نائما أيقظه، واذا كان فى عرينه أزعجه وهو بين أشباله ولباته ليوجّه اليه الضربة القاصمة. وضربة الأسد إما لك وإما عليك ولا ثالث لهذين. وتستطيع إذًا أن تتصور مبلغ كفاءة القانص المتعرض لملك وحوش الصحراء. والهنود يتفاخرون بهذا النوع ويتمثلون صورة عظمتهم وزينتهم

فى بيوتهم حتى أنك تجد مكان البسط و
السجاجيد جلود الأسود مفترشة ومعلقة
على الجدران . وقد رأيت فى بيت ما يربو
على نحو ستمائة جلد من تلك الجلود وقد
حفظت فيها الرءوس والمخالب،

ولهذا ينشأ الأطفال وقد تعوّدوا هذه
المناظر وألفوها فلا تنخلع قلوبهم هلعاً عند
ما تقع أبصارهم على أبى الأشبال، وعند ما
يسمعون زئيره المرتفع يشق أكباد الصحراء
و يملأ شعابها ذعرا و ارتياعا.

ونساء البنغال لهن مهارة خاصة فى
صيد الأسود حيث تكمن إحداهن فى شبكة
و بيدها سلاح مكسو بلحوم بعض الحيوان

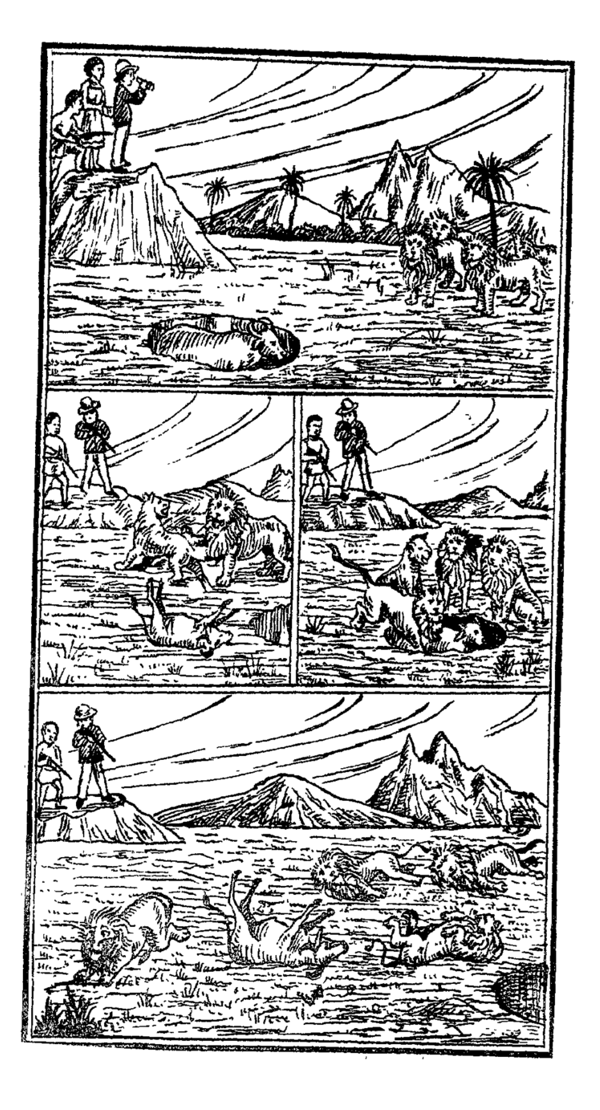
فيقدم عليه الأسد فيسكن السهم فى صدره.
وبما أن الأسد يخاف من الشعلة النارية
الملتهبة فلهذا يتقى الصيادون بإيقاد النار
ليلا فيمتد لهيبها ويتبدد شمل الكثير منها.
قال صاحبى كنا نخرج الى الصحراء على
بُعد ثلاثين ميلا، وقد أرخى الليل سدوله
على الكون وبدت النجوم اللامعة على القبة
الزرقاء كأنها وشى الذهب على الديباج، ثم
تتراكم السحب فتظلم السماء وتبدو الأرض
فى جلبابها الحالك فنرى من الوحوش
قطعانها وزمرها على مجارى المياه و
منحدرات السيول وترسل من أصواتها عواء
وزئيرا وبغاما فتملأ الليل هولا ووحشة سيما

وأقرب مدينة لاتقع الأعلى نحو ثلاثين
ميلا كما أسلفنا، فيختار القانصون النوع
الذى يريدونه، فمنهم من يحب صيد الحمر
الوحش أو المها أو الغزلان طلبا للتغذية،
ومنهم من يصطاد الأسود للفخر و اقتناء
جلده أو الفيل لاستئناسه، وهم يصنعون
لصيد الفيلة طبقة رقيقة من الحشائش
على خندق محفور مستتر تحتها، فيسقط
فيه الفيل، ثم يقادو يروّض لينتفع به
بعد ذلك فى حمل الأثقال ونقل الأشجار
الكبيرة من الغابات. على أنه مما لا يباح
الصيد ذكر الغزال لندرته وجماله، فإن
اقتناصه يؤثر فى بقاء نسله. وكذلك

صيد الطواويس فإنه فى نظر الهندوكيين
أجمل الطيور. والجمال سر من أسرار الله و
قبس من نوره، فالاعتداء عليه اعتداء
على قداسة جمال الٰهى فى نظرهم ، على أنهم
يحرّمون صيد كل حيوان والعدوان على
كل ذى روح يجرى فى عروقه دم الحياة.

أما صاحبنا فقد كان مع أصحابه يختلسون
الطاووس ببندقيته من ذات طلقات
صامتة ، وبعد أن يقع صريعا يذبح سريعا،
ثم يخفونه بين ثيابهم وهم يأكلون لحمه
ويحرقون ريشه وعظامه حتى لا يراهم
الهندوكيون أو البوليس ، لأن الغرامة على
قتل طاووس لا تقل عن خمسين روبية

هندية ، أو الحبس ستة أشهر. و هـذا
خاص بالبلاد التى أغلبها الهندوكيون.
ولتحريم هذا الصيد تجتمع أسراب
الطواويس على الأشجار وفى الشوارع آمنة
مطمئنة ، وهى تختال بريشها الجميل و
تمرح فى الفلوات والمدن على السواء
دون رعب وخوف.



(٦)

طبيعة الأسود

وبمناسبة الحديث عن الأسد نحب أن يعلم القراء أن الصيادين كثيرا ما يطلعون على غرائب الطباع ونوادر الذكاء التي تبدو من حركات بعض تلك الأسود، وقد يلمح الصياد منها حالات لا يصدر مثلها الا عن رويّة وتفكير.

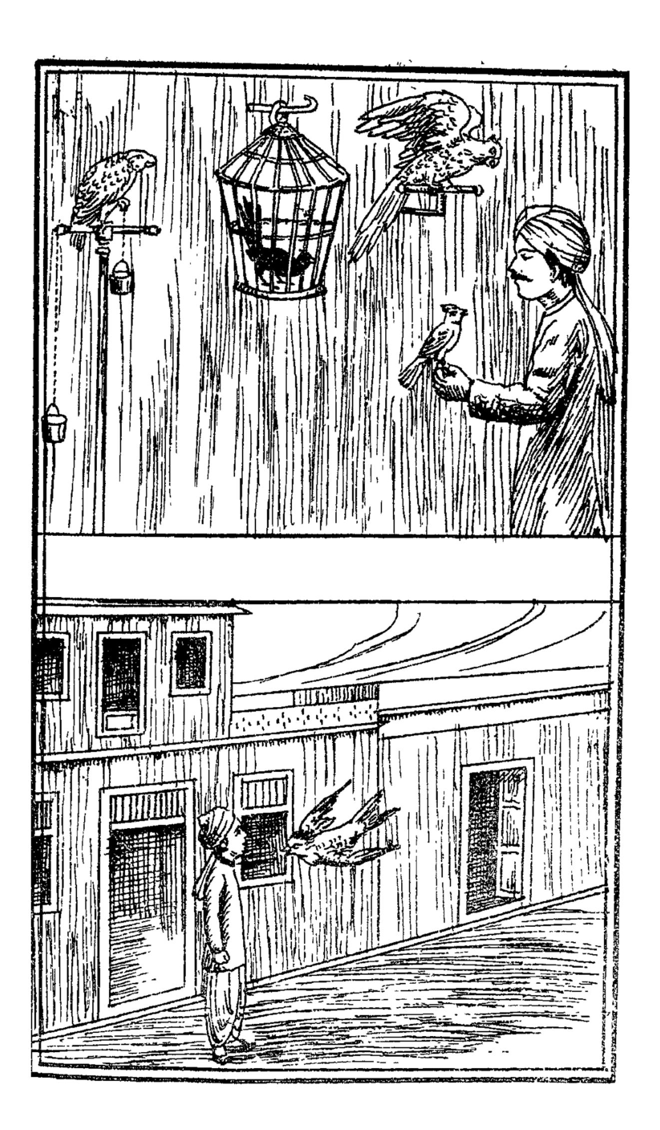
فقد ذهب نائب الحاكم العام الانكليزى مع قرينته، وكان أحد أصدقائنا في

رفقتهم ، ولما أوغلوا فى الصحراء استقرّبهم
المطاف على تل مرتفع يطلّون من قمته
على السهول والمنخفضات ويشرفون على
المغاور والغابات ، وكان معهم المنظار
المكبّر يرصدون به الأسود فى ذهابها
وجيئتها وبأيديهم آلة التصوير ليحتفظوا
بذكريات المناظر التى تنال اعجابهم . و
بينما هم على هٰذا الحال واذا بهم قد بصروا
بسهل منخفض به بقايا مياه وأوحال قد
عثر فى وعثائها عدد غير قليل من الأنعام
وفى جملتها ثور ضخم لم يستطع النجاة . فأقبل
أسد ضارم تصحبه لبوءته و شبلاه
اليافعان . رأى الأسد فى ذلك الثور

الكبير طعاما شهيا وغذاء مريئا فأقبل
بمخالبه الحادة يحاول انتزاع الثور من
الطين المتراكم وحمله الى عرينه وما كانت
مخالبه القوية لتستطيع حمل هذه القناطير
المقنطرة من شحم ولحم وان كانت قد تركت
آثارا وجروحا تستنزف الدم الغزير من
ذلك الجسم الكبير. وحاول أبو الشبلين
النجاح وأعاد الكرة وأخفق فى كل مرة .
فتقدمت لبوءته وأنشبت أظافر حادة
ووثبت بالثور وثبة خاطفة استطاعت
معها أن تنجح فيما أخفق فيه صاحبها ، و
كأنما قد عز على الأسد هذا التفوق أمام
شبليه ، وكأنما قد غضب لكرامته ، فحمله

ذلك الغضب على الانتقام لشرف الأسود
من تلك التى أحرزت قصب السبق فى ميدان
الوحشية والافتراس ، فلطمها النمر قضت
على حياتها أو كادت. وهذا العدوان الذى
لا مبرر له قد أغضب الشبلين و نالت
منهما الفجيعة فى أُمهما فثارا ثورة دفعت
بهما الى الانتقام لها، وتحاملا على أبيهما
فلطماه وأسقطاه صريعا الى جانب التى
اعتدى عليها وسقياه من الكأس الذى
سقى به أمهما القوية الباسلة. كل ذلك
جرى فى سكون الصحراء ، وقرينة الحاكم
الانكليزى بيدها آلة التصوير تحمل ذلك
المنظر الذى استوقف دهشة الجميع و

استرعى أنظارهم ، ولم يبق أمامهم بعد ذلك
سوى هذين الشبلين ، فصوّبوا اليهما رصاصتين
أصابتا من أحدهما المقتل ونجى الثانى باصابته
الخفيفة ، وعادوا يحملون الأسد و لبوَته
وأحد شبليهما. وما كان هذا المشهد الا
واحدا من مئات بل من ألوف تقع أمثالها
فى غابات الهند وأحراشها. ولعل قصّة
هذا الثور تعيد الى ذاكرتنا ما عرفناه فى
كليلة ودمنة وما حدّث به بيدبا
الفيلسوف الهندى دبشليم ملك الهند.



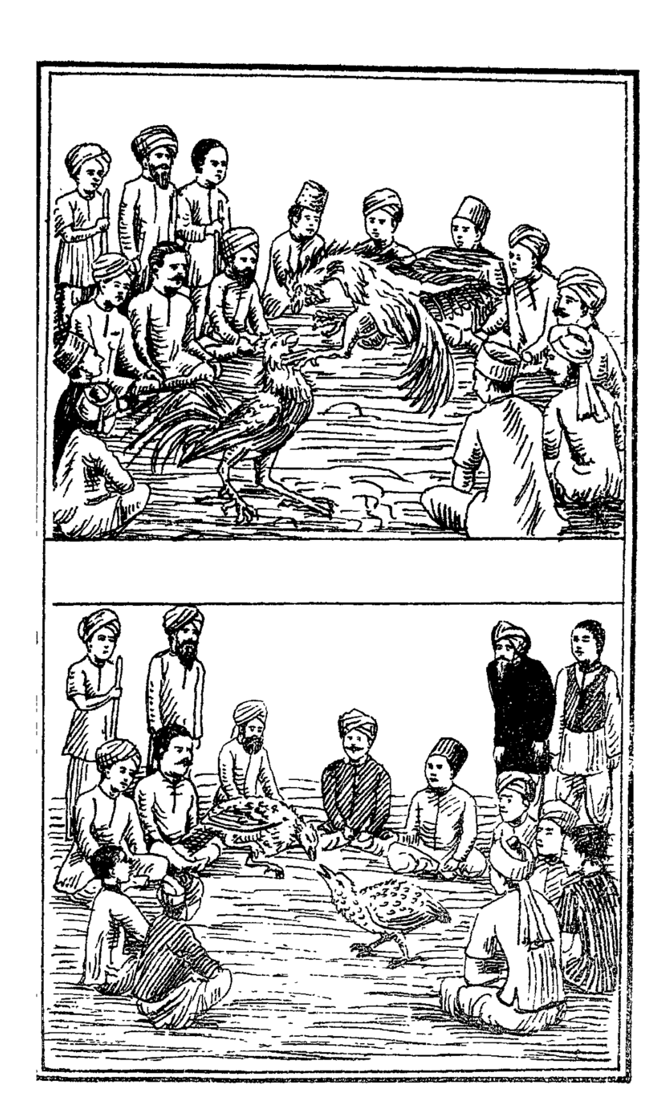
(٧)

الطيور الحاكية

كثيرا ما شاهدنا الببغاوات التى تحكى جميع الأصوات وتردّد كلام الأنسان وهى فى الهند كثيرة مشهورة ورخيصة الثمن لدى تجار الطيور، ولكن المدهش الغريب فى أمرها أن هنالك أنواعا أخرى غريبة فى مناظرها وطرق تربيتها يقال لها بالهندية "پهارى مينا،، وهى نوع من الزرزور يستحضر من أوكارها فى الصّغر وتربّى بعناية كبرى،

وهذا الطير له مقدرة بعيدة الغور على حكاية ما يسمع وترد يده بكل سهولة وبأية لغة. وهذا يختلف عن البغاوات الأخرى بأنه يردد الكلمات فى الوقت المناسب كأنه يشعر بها وكأنه ينطق بها عن روية و تفكير، وإذا أصابه اعتداء من طير اخر شكى الى صاحب البيت. وأنا لا أجد فى ذلك أية غرابة إذ نلاحظ أن الحيوان يفزع عند ما يعتدى عليه، فتضطرب أعضاؤه ويرتفع صياحه، وهو آية احساسه وشعوره بالضرر الذى يلحقه وهو يترجم عن هذا الحس بالصياح أو بالكلام عند ما يعلّمه والمسلمون يعلّمون هذا النوع

كلمات دينية تقع موقعا حسنا عندما ينطق
بكلمة التوحيد وبتمجيد الله الذى يسبح له
ما في السموت وما في الارض. وقد كتبت
بعض المجلات الصادرة عن أمريكة فصلا
مسهبا عن مخاطبات حيوانات وطيور،
ونقلت عن "شنبنزى" ثمانى حروف يرتفع
بها صياحه عند الجوع والغضب والتألم
والارتياح ونداء أبناء جنسه.



(٨)

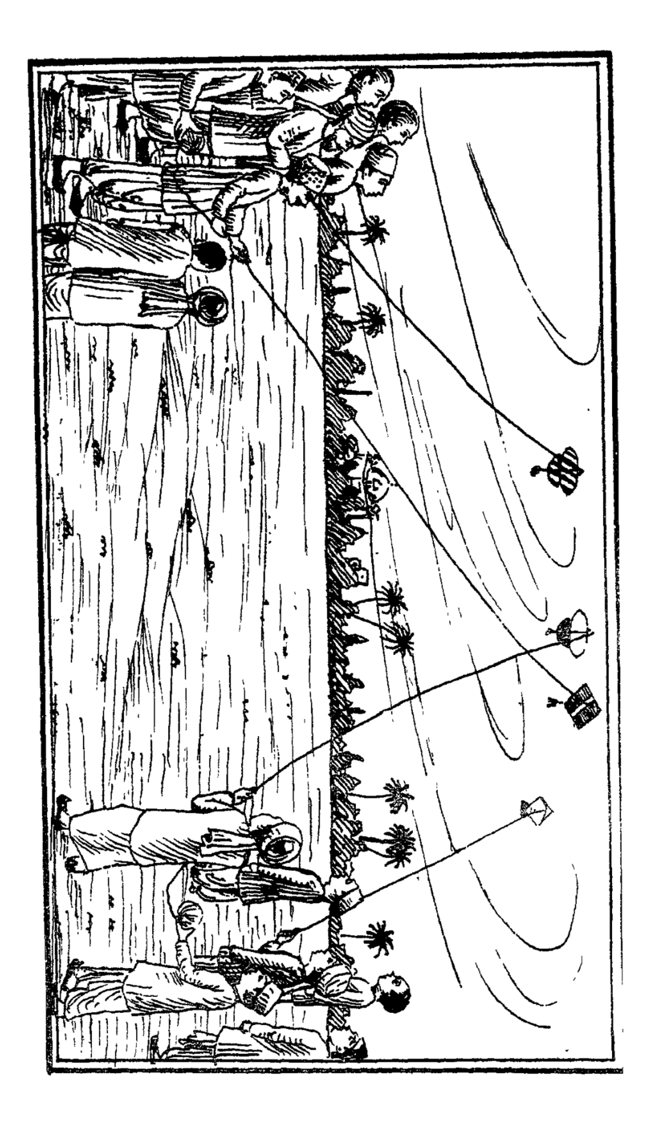
ألعاب الطيور

وتوجد فى الهند ميادين وأسواق تجرى فيها منافسات ومراهنات تشبه ما يجرى فى ميدان سباق الخيل. فهنالك تنعقد مواسم سنوية معروفة، يجتمع لها الناس من كل مكان ولا يستطيعون أن يشاهدوا هذه المنافسات الا اذا حصلوا تذاكرو دفعوا أجورا، وهنالك تحتدم المهارشات بين صنوف عديدة من الطيور كالدرابج

والسمانى والقبرة والعندليب ومن البُزاة و
الصقور وأنواع أخرى كثيرة لها هُواة
مروّضون ولهم فى تدريب الطيور فنون
خاصة يتخذونها حرفة وطريقا للتكسب.
فاذا انعقد الموسم أقبل النظارة والمتنافسون
من كل صوب ويقضون يومهم ويعودون
وقد ربح من ربح وخسر من خسر. وهذه
وأمثالها تعوّدهم النضال وتلقى عليهم
دروسا عملية فى طرق التغلب على الأعداء
والسيطرة على الخصوم. ولتربية الحمام
وصيده مدارس وأسواق خاصة لها
مروّضوها ومعلموها. كما تختلف أنواع
التعليم باختلاف أجناس الحمام، فكانت

هذه المشاهد فى زمن الطفولة مدرسة يغشاها صديقنا فيتلقى فيها دروس المناظرات والمحاورات ويتعرف من حرب الطيور وتغلب بعضها على بعض كيف يحارب خصومه وينتصر عليهم. من ذلك اليوم تعلقت نفسه حب الفوز على الأقران والجرأة فى كل ميدان. ولعل مما اختصت به هذه الأسواق، مصارعة الأوعال والأفيال وذلك يشبه المصارعات بين الثيران فى أسبانيا وغيرها من البلاد الأوربية، وفى تلك الحلبة يرى المرأ حربا حقيقية دامية تقتتل فيها الوحوش الكاسرة بقرونها وخراطيمها وتصطدم

أجسامها القوية حتى يقع بعضها صريعا أمام الجماهير التى تعودت هذه المناظر و ألفتها فأصبحت لا ترهب النضال ولا تخشى النزال .

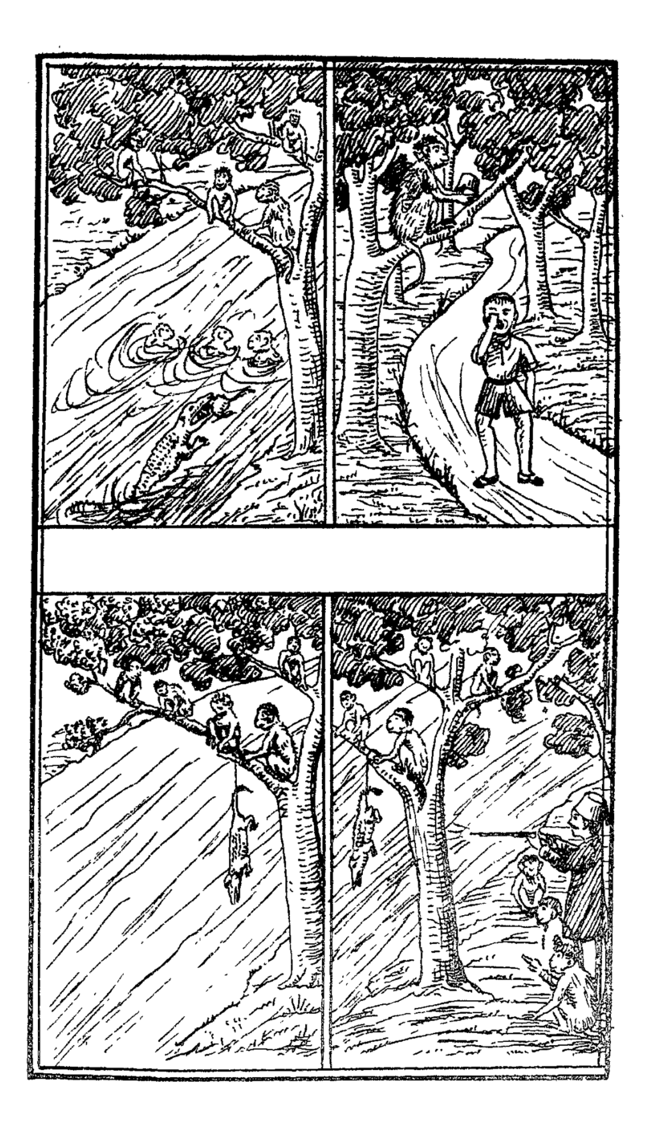


(٩)

الطائرات المصنوعة

وهنالك لون أخر من الصيد والاقتناص يجرى فى الطائرات المصنوعة من الورق الرقيق المتين الملوّن يسمُّونه « يتنبج » ولقد ترى أن هذا اللون لا يبدو عظيما فى نظرك ، و قد يتبادر اليك أنه من النوع الذى يعبث به الأطفال والصبيان. و الأمر هنالك على خلاف ذلك، فأن صيد الطائرة السابحة فى الهواء مشدودة بخيوط مسنّنة

تمتدّ الى أميال . أقول إن اقتناص الطائرة
وتقطعها على هٰذا اليس من الهنات الهينات
اذا هو يحتاج الي مهارة وبراعة يستطاع
معها الفوز بالغنيمة . ففى مدينتى لكهنؤو
فيض اٰباد وغيرهما خاصة تقع هٰذه المباريات
سيما بين الأغنياء والأُمراء حكام المقاطعات
وكبار الأعيان لما فيها من الدلالة على سعة
الحيلة ونفاذها ، وتجرى فيها مراهنات و
تقدّم جوائز عظيمة للفائزين .



(١٠)

القِرَدة فى الهند

كنت أستذكر قصة من طرائف القصص وهى (كان فيما مضى فى عصر بنى اسرائيل خمّار يسافر لبيع الخمر وكان له قرد يلازمه فى كل لحظة. ومن دأب هذا الخمار مزج الخمر بالماء بالمناصفة وبيعه بسعر الخمر العادى، فكان قرده يشير اليه ألا يفعل ذلك فيضربه وبعد أن أتم الخمار بيع خمره وأراد الرجوع الى بلدته أخذ قرده وكيس نقوده،

وعند ما كان فى البحر سرق القـرد الكيس من صاحبه بحيلة وارتقى « الدقل » و الكيس معه حتى وصل أعلاه ثم أخذ يرمى إلى المركب بدرهم وإلى البحر بآخر و هكذا حتى قسم الدراهم نصفين فما كان لحصة الخمر أصبح فى المركب وما كان للماء أصبح فى البحر).

فتذكرت بعض قصص القرود التى ليست مدوّنة فى الكتب ولا فى التاريخ بل جارية على الألسن فى نوادى السمر وسأقص بعض عجائب ذكاء هذه القرود وما أتته من الحوادث الجمّة فى الهند.

أشرنا فيما سبق الى القردة فى الصحارى

والغابات والحقول وأنها كثيرة الأنواع و
العدد، غريبة الحياة و التطور. ولعل
الزائر لحديقة الحيوان فى مصر يشاهد فى
مناظر ألعابها ألوانا طريفة من حركاتها
ووثوبها و تنقلها بين الأشجار، إلا أنها
فى الهند تتمتع بحرّية لا يتمتع بها غيرها.
سيما اذا لاحظنا أن من عبادة الهندوكيين
الرفق بالحيوان بل الاحسان الى الحيوان، فهم
كل صباح يخرجون بالحبوب و الأقوات
لإطعامها ورعايتها. و تتجمع القردة فى البساتين
لتأكل من أثمارها وتستحم فى جداولها و نهيراتها
وتلعب بين أشجارها، وهى تتوالد وتتناسل:
وقد وقع فى بعض مقاطعات الهند حوادث

أدت الى طرد جميع القردة من تلك المقاطعة
نفرت الى المملكة التى منها صاحب القصة
وكان بها بستان عظيم يشقه طريق صغير
يمتد الى نهر غزير الماء يتصل بالكنج
الأعظم. فأقامت القردة فى البستان، و
كان صاحبه هندوكيا وقد طارده غير
مرة إلا أنه بحكم شريعته أحسن إليها
وترك لها البستان العظيم تمرح بين أشجاره
وتعيش من أثماره. وللقردة كما بينت
حالات قد لا يصدّقها العقل لولا أن صاحب
القصة يروى أنه كان يدخل البستان و
معه بعض الطعام، فتحتال بدهاء ومكر
لتخطف ما لديه من خبز، وقد شاجر

مرة وقذفها بالحجارة فهرولت من أمامه
ثم اختلست منه فرصة فاختطفت طربوشه
ثم ارتفعت به الى شجرة وأخذت تتقاذفه
ساخرة ضاحكة ثم مزقته وجعلت من
مزقه سهاما تصوبها اليه سهما بعد سهم
دون أن يشفع له بكاء طفولته . ويحدث
أنها قد وقعت مرة حرب قتل فيها عدد
كبير. ثم يرى الناس بعد ذلك أن البستان
جعل قسمة بين الفريقين يفصل بينهما
طريق . ولعل ذلك كان بمثابة هدنة
وصلح . وقد حاول بعض الذين يحبون
الاستطلاع أن يوقد نار العداوة بين الفريقين،
فحمل طعاما كثيرا وألقى به فى الطريق

بين الحديقتين ومكث بعيدا ينتظر مشهدا
جميلا من حرب القردة الا أنها ما لبثت
أن كذبت ظنه ، فقد حضر بعد دقائق
قردان مسنان من كلتا الجماعتين ثم اقتسما
الطعام واحتمل كل فريق نصيبه بالسوية
وانتهت المشكلة فى غير حرب .

ومما يرويه أيضا صاحبنا أن فيضانا
حدث فى النهر الآنف ذكره وظهر أثناء
الفيضان تمساح كبير ، وكان من عادة القردة
السباحة فى مياه الشاطئ وتحت ظل أشجاره
الوارقة وشمسه الدافئة . فرأى التمساح
فى هذه القطعان بابا واسعا من أبواب
الرزق وغنيمة ما كان يحلم بها فى رحلته

الطويلة . فقرر توطيد الاقامة وأخذ
كل يوم يبتلع منها واحداً واحداً عند السباحة
وبعد قليل فطنت القردة الى هذا العدو
المغير ، فأخذت تترصد له حتى عرفته .
وفى إحدى الليالى ذهب عدد منها الى منازل
المدينة ثم صعدت على سطوح بعض المنازل
فوجدت حبلا طويلا فأخذته وصنعت
منه شبكة محكمة العقد وربطتها على
شجرة كبيرة ربطة محكمة ثم قدمت واحدا
منها بمثابة الطعم ، فأقبل التمساح كعادته
ليلتقم غنيمته اليومية ، ولكن القرد أنفذ
حيلته بالسرعة وأدخل الحبل فى رأس
التمساح وشداه بمعاونة جماعته حتى أبقاه

معلّقا فى الشجرة لا يجد فكاكا من أسرهٔ،
ولا يعلم الا الله الى أىّ حد بلغت فطنة
تلك القردة عند ماذهبت من ساعتها
الى حاكم انكليزى بالمدينة ولعلها عرفته
من تجواله فى البستان، ثم أخذت تتمسح
بأقدامه وتشير إشارة غاب عليه أمرها
ثم فطن لها ونهض واحتمل سيفه فقبضت
على السيف وألقت به، فحمل العصى ففعلت
مثل ذلك ، فأخذ أخيرا بندقيته فأشارت
بما يدل على الارتياح ثم سارت إحداها
أمامه والباقيات خلفه حتى انتهى هذا
الموكب الغريب من نوعه الى التمساح
فأقامت حوله مظاهرة الغضب الى أنه

عدوّها العنيف وخصمها الألد فأطلق الحاكم
عليه قذيفة نارية أردته صريعا فهشت
بمصرع عدوها وأخذت تمسح بأثواب هذا
المنتقم الذى أنقذها من هذا الخطر المهدد
كأنها بذلك تعلن شكرها واغتباطها.
وقد أصدر الحاكم بعد ذلك أمرا بألّا يعتدى
أحد على هذا البستان بما يضايق هذه
الوحوش المسالمة، وقد أضيفت الى ما كان
لها من حماية الهندوكيين الدينية حماية
أخرى من رجال السياسة.

(١١)

الحيّات والثّعابين والعقارب

يحدّثنا فتى الهند وهو أعلم بشعابها أن لهذه الحشرات بين الصحارى والغابات حياة خصيبة تستطيع أن تتقلب فى فضائها الطلق الواسع الممتد فهى تنمو وتتناسل ولها أشكال وأنواع قلما يستطاع حصرها فمن بينها نوع من التنين يتناهى فى الطول الى مساحة لا يصدقها العقل، وهذا النوع يسمونه «أژدها»، كما أنه

أيضا قليل الاعتداء الا فى حالة الجوع الشديد. والعجب أن ظهر هذا التنين يتخذ وطنا ومتكأ لنوع من الحيات الخضراء اللون التى لا يزيد طولها عن شبر، ولعلها أشد صنوف الحيات سما وأفظعها خطرا. فلو أن احداها سارت فوق نبات مزدهر لاحترق وذبل فى الحال لشدة فعل السم، ومن رحمة الله أن جعل ظهر التنين مأوى لها والا لما بقى على الأرض نبات. يسير ذلك التنين العظيم بعشرات ومئات من هذه الجنود الخطرة التى لو سلطت على الحقول لتركتها هشيما وهو يستطيع أن يجتذب الانسان من عشرات الأمتار بجاذبية خارقة و

رهبة مفزعة حتى يسقط صريعا بين فكيه ، وما ان يغشى ذلك المخلوق مدينة أو بلدا حتى ينزل بأهلها الفزع والخوف . وصادف أنه نزل قريبا من مدينة الفتى فتخوف الناس والزراع الدنومن مقامه وأخذ هو يفتك بما يصادفه من الحيوانات وأصاب انسانا فقضى عليه. فأقبل رجل جسور و استل سلاحا مسموما وربطه فى يديه كما أنه لبس بعض الجلود ووقف على مقربة من التنين فاجتذبه ودخل الرجل الى ذلك القبر غير هياب وما كاد يصل الى فمه حتى أعمل سلاحه الحاد وشق أمعاءه ولكن الرجل لم يستطع أن يخرج الا بعد

يوم متأثرا بسُم ذلك الغول العظيم ثم عولج
بعد ذلك وشفى. و اقليم البنغال تكثر به
الحيات كثرة الطيور فى البستان والسمك
فى البحر، فهم لذلك يحذقون فنونا من
العقاقير لمعالجة المصابين بلدغاتها.

كان بعض السلاطين المسلمين فى هذا
الاقليم عوّدته والدته تناول السم منذ
الصغر، فكان يتعاطى منه قليلا قليلا
فلما شب كان قد تسمم وأصبح لا يخشى
الاصابات. وقد صادف أن حية لدغته
فماتت هى متأثرة بسمه بدل أن يموت
متأثرا بسمها. وهم يخرجون الى الجبال و
معهم تلك العقاقير كما أن منهم المحترفين

لاقتناص الثعابين والحيات ولكن لماذا
يقتنصونها؟ ان لها عندهم منافع كثيرة
وان كان ضررها أكبر من نفعها، اذ يتخذون
من شحومها أدوية ومن جلودها زينة
للملابس، بل يقيم الأغنياء منها حرسا
على كنوزهم الدفينة. كان ذلك معروفا
عند قدماء الهنود حيث كانوا يقتلعون
بعض أسنانها السامة ويسقونها اللبن
و يحفرون لها الجحور والحفر على نظام
خاص موزّعة فى طريق تلك الكنوز، فما
يكاد اللصوص يحدّثون أنفسهم بالنهب
حتى يسقطوا صرعى. وكانوا كذلك يستعملونها
لاعدام المجرمين واهلاك الأعداء وقُطّاع

الطرق ، ولم يبق ممن يستخدم الحيات الاقليلون
وأكثر الذين يجيدون استخدام العقاقير
ومعالجة السموم هم الزهاد و العباد و
الناسكون الذين يستوطنون الصحارى
و الجبال ويعرفون مخابئها و تضطرهم
حاجة الحياة الى التسلّح بالأدوية التى
تقيهم كلما تعرضوا للاصابات.

وكلما كثرت العقارب فى بلدة أقبل
الأهالى على صيدها وقتلها، وا ستأجروا
لذلك المحترفين الذين لهم حِيَل و أفانين
فى اقتناصها من مغاورها، اذ هم يصنعون
حبالا من أليات النخيل ويمدونها فى مخبئ
العقرب حتى إذا ضربت الحبل بأطرافها

وقعت فريسة ثم شدوها وأخرجوها ، وقد أصبح جمع الأفاعى وترويضها مهنة يحترفها المشعوذون و اللاعبون . وفى بعض المواسم يتقدمون أمام الجماهير بألعابهم المسلّية و يحصلون على كثير النقود.

والعقاقير التى تستخرج بها سموم الأفاعى لا يعرفها كما سبق الا قليلون، و هى تفوق ما يعرفه الأطباء الأخصائيون فى ذلك وهى بمنزلة الأسرار التى يتناقلونها و يتواصون بكتمانها . وكان من أشهر علماء هذا الفن سموّ نظام حيدر آباد السابق "محبوب على خان آصف"، وكثيرا ما كان يستدعى لاسعاف المصابين فى منتصف

الليل فيمضى بسيارته الى منازلهم ، وقد تكون من الأكواخ الحقيرة فلا يرده ذلك على القيام بمهمته حتى ذاع في الهند أمره وامتاز فى هذه المزيّة فضله، و أتخذ بعض الجهال بعد ذلك اسمه ترياقا يتعالجون ببركته ويُرهبون الحيات بسطوته وتناقلوا فيما بينهم أن تجربة هذا الترياق نفعت أصحاب هذا الاعتقاد.

كان صديقنا يخرج فى زمر من أصحابه باستخراج العقارب وجمع عدد كبير منها ليحصل على الجائزة الوافرة. فكان هذا العمل تمرينا على المخاطرات والمجازفات من جهة ، وطريقا الى الكسب والحصول

على المال من جهة أخرى ،

وكذلك فى الهند بحيرات عدة على نظام خاص لترويض التماسيح يسيمها مروّضوها بأسماء معيّنة ، واذا ذهبت إليهم بلحوم و أطعمة تراهم يدعونها واحداواحدا بأسمائهم ، فيخرج أمامك التمساح المعيّن ويتناول ما يقدّم إليه ثم يسبح فى الماء كأنه اعتاد ذلك ، وكنا نرى كثيرا من التماسيح فى أيام الشتاء على شواطئ الأنهار العميقة ، و هى تستدفئ بحرارة الشمس دون أن تعتدى على أحد ،

